حسان شاعر الرسول

للاستاذ الشاعر محمد هارون الحلو

هجوت محمدا ، فأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى ووالده ، وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء
اتهجوه ، ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

بمثل هذا الوفاء ، والافتداء ، والاخلاص لله ورسوله ، كان حسان بن ثابت الشاعر يشد من أزر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينصره ويدفع عنه ، ويذود عن حوزة الاسلام .

وكان الرسول عليه السلام يستمع اليه ويستنشده ويقول له :

« قل ، وروح القدس يؤيدك » ، وقد دخل حسان فى الاسلام على اثر الهجرة وهو فى الستين من عمره ، وقد ذكر الرواة ان حسان عمر الى المائة والعشرين عاما ، فكأنه عاش فى الاسلام ستين سنة أخرى ، كما عمر أبوه وجده من قبله ، بل وجد أبيه فكل منهم قد مات عن مائة وعشرين سنة ، ولا يعرف فى العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد ، وعمروا على هذا النحو كما عمر حسان ، وآباؤه .

وقد اتصل فى حياته الأولى بالغساسنة ووفد عليهم ، ومدحهم وأجروا عليه العطايا ، وأغدقوا عليه النعم ، وكانت له الحظوة عند النعمان الثالث المعروف (بأبى قابوس) .

واذ أشرق نور الاسلام ، وهاجر سيد المرسلين الى المدينة فى نصرة دين الله ونصرة الأنصار ، كان لسان حسان أشد على الكافرين المعاندين من وقع النبل ، وكانت له منزلة يزهى بها لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ناله من شرف الدفاع عن دين الله ، وقد أضفت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتشجيعه لحسان ، وتوجيهه اياه ، أضفت على الشاعر

جلالا واحتراما ، فسمت مرتبته ، وكانت له المنزلة بين قومه وعشيرته ، وصحبه .

ولقد فضل حسان الشعراء كما تروى « كتب الأغانى » بثلاث : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى فى النبوة ، وشاعر اليمن كلها فى الاسلام ، وكان حسان أشعر أهل يثرب .

واذا كان عهده فى قومه قد تقادم قبل الاسلام ، وانه أوفى على الستين من عمره ، وهو فى الجاهلية الجهلاء ، فقد كان شاعرا فحلا يدرك ما يدركه الشعراء من احساسات عليا ، وارهاصات ، واذ يذكر هو نفسه انه وهو غلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان شهد ذات غداة يهوديا بيثرب يصرخ فى قومه وينادیهم : يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا اليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذى يولد به فى هذه الليلة .

فلعله بعد ان استوى عوده ، كان مهيأ النفس والقلب للدين الجديد ومن ثم فقد أسلم عقب الهجرة ، ودرأ بلسانه ، ما درأ عن الاسلام ونبيه الكريم .

وللشاعر خصائص وسمات كانت تجعله معدا لهذا النوع من الدفاع والذود .

ففى هيئته وسمته اختار لنفسه ان يتشبه بالأسد الوالغ فى الدم سأله ابنه عبد الرحمن يوما ، وقد رآه لا يخضب بالحناء سائر لحيته ، وانما يخضب شاربه ، وشعرات تحت الشفه السفلى وفوق الذقن وتعرف (بالعنفقة) دون سواها .

سأله فى ذلك ، لم تفعل هذا يا أبت فقال : « لأكون كأنى أسد والغ فى دم » وهو مظهر المقاتل المتوثب . وفى تلك الصورة ما لا يخفى على القارئ الفطن من صولة ورهبة .

وكان الشاعر يدل بمنزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزهى بها فقد جاء الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وهو فى نفر من صحبه وقال له : انشدك الله يا أبا هريرة ، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أجب

عنى » ثم يقول : اللهم أيده بروح القدس ؟ فقال أبو هريرة : اللهم نعم وكان يهجو الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان وعمرو بن العاص فقام حسان يدافعهم ويهجوهم ويدفع قاله السوء والكذب منهم عن رسول الله ، وحين قال له الرسول عليه السلام . كيف تهجوهم وأنا فيهم ؟ قال حسان : انى أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له الرسول الكريم : اذهب الى أبى بكر فانه أعلم بأنساب القوم منك وكان يأخذ من أبى بكر تاريخ القوم ومنازل آبائهم ليرد عليهم سبابهم وسفههم بأشد منه . وكان حسان فى طليعة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت عبد الله بن رواحه ، فقال : وأحسن وأمرت كعب بن مالك ، فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى ، واشتفى ، وعن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت الشاعر : « ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ولقد وقف حسان يحمى أعراض المسلمين عام الأحزاب حين رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وحين وفد على النبى صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم وهم سبعون أو ثمانون جاءوا ليحاجوه وأقام صلوات الله عليه لحسان منبرا ، وأجلسه عليه وقال : « ان الله ليؤيد حسان بروح القدس ما كافح عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، ووقف شاعرهم الزبرقان بن بدر ينشد قصيدته المشهورة :

نحن الملوك فلا حى يقاربنا ... منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

فقال حسان :

ان الذوائب من فهر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله ، وبالأمر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يفرحون اذا نالوا عدوهم ... وان أصيبوا فلا خور ولا جزع

الى ان يقول :

أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... اذا تفرقت الأهواء والشيع

ويقول الاقرع بن حابس وكان فى الوفد : (ان هذا الشاعر لمؤتى له) أى ميسر ومسهل له فى القول . وان شاعر محمد لأشعر من شاعرنا . وما زالوا الى أن أسلموا وأقاموا عند النبى صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقهون فى الدين . وهم يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم « اللهم انه سيد العرب » .

أما موقف الفخر لحسان فيوم أنشد يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم فى قصيدته :

فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا أشهد معك .

شهدت باذن الله أن محمدا رسول الذى فوق السموات من عل

وفى فتح مكة ينشد قصيدته التى يعجز فيها ويبدع بقوله :

لنا فى كل يوم من معد قتال ، أو سباب ، أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء
وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق ان وقع البلاء
شهدت به وقومى صدقوه فقلتم ما نجيب ، وما نشاء
وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

الى ان يقول :

لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

وفى يوم أحد يرد على ابن الزبعرى اذ يقول الأخير :

أبلغا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا العلل

يرد عليه حسان بقوله :

ذهبت بابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
نضع الخطى فى أكتافكم حيث يهوى عللا بعد نهل
برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله ، وتصديق الرسل
كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدام بطل

وللشاعر موقف كريم يرثى فيه بطلا مغوارا جسورا من شهداء المسلمين وصحاب النبى ، ألا انه حمزة سيد الشهداء .

قدمت امامة ابنة حمزة الى المدينة تسأل عن قبر أبيها فحياها الشاعر تحية تكريم لأبيها ورثاه بالأبيات :

فان أباك الخير حمزة فاعلمى .. وزير رسول الله خير وزير

دعاه اله الحق ذو العرش دعوة الى جنة يرضى بها وسرور

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا ولا بلين فى محضرى ومسيرى

على أسد الله الذى كان مدرها يذود عن الاسلام كل كفور

وسيرة شاعرنا موصولة بالجهاد والكفاح تنفح طيبا ، وتنتشر عبقا . وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد هارون الحلو
ادارة الشئون العامة بوزارة التربية والتعليم

* * *

بين الفقه والتصوف

قال العلامة أبو الفرج بن الجوزى .. فى كتابه صيد الخاصر : « رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث ، لا يكاد يكفى فى صلاح الدين الا أن يمزج بالرقائق ، والنظر فى سير السلف الصالح ، فأما مجرد العلم بالحلال والحرام ، فليس له كبير عمل فى رقة القلب ، وانما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث ، وأخبار السلف الصالحين وأذواق أهل التصوف » .